{إِذَا جَاءَ نَصْرُ ٱللهِ وَ ٱلْفَتْحُ} * {وَ رَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللهِ أَفْوَاجا} * {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ ٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا}(1-3)

قال الزمخشري: {إذا} منصوب بسبح، و هو لما يستقبل، و الإعلام بذلك قبل كونه من أعلام النبوة، انتهى. و كذا قال الحوفي، و لا يصح إعمال {فسبح} في {إذا} لأجل الفاء، لأن الفاء في جواب الشرط لا يتسلط الفعل الذي بعدها على اسم الشرط، فلا تعمل فيه، بل العامل في إذا الفعل الذي بعدها على الصحيح المنصور في علم العربية، و قد استدللنا على ذلك في شرح التسهيل و غيره، و إن كان المشهور غيره. و النصر: الإعانة و الإظهار على العدو، و الفتح: فتح البلاد. و متعلق النصر و الفتح محذوف، فالظاهر أنه نصر رسوله صلى الله عليه و سلم و المؤمنين على أعدائهم، و فتح مكة و غيرها عليهم، كالطائف و مدن الحجاز و كثير من اليمن. و قيل: نصره صلى الله عليه و سلم على قريش و فتح مكة، و كان فتحها لعشر مضين من رمضان، سنة ثمان، و معه عليه الصلاة و السلام عشرة آلاف من المهاجرين و الأنصار.

و قرأ الجمهور: {يدخلون} مبنيًا للفاعل؛ و ابن كثير في رواية: مبنيًا للمفعول. {في دين الله}: في ملة الإسلام الذي لا دين له يضاف غيرها. {أفواجًا} أي جماعات كثيرة، كانت تدخل فيه القبيلة بأسرها بعدما كانوا يدخلون فيه واحدًا بعد واحد، و اثنين اثنين.

قال الحسن: لما فتح عليه الصلاة و السلام مكة، أقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا: أما الظفر بأهل الحرم فليس به يدان، و قد كان الله تعالى أجارهم من أصحاب الفيل. و قال أبو عمر بن عبد البر: لم يمت رسول الله صلى الله عليه و سلم و في العرب رجل كافر، بل دخل الكل في الإسلام بعد حنين. منهم من قدم، و منهم من قدّم وافده. قال ابن عطية: و المراد، والله أعلم، العرب عبدة الأوثان. و أما نصارى بني ثعلب فما أراهم أسلموا قط في حياة الرسول صلى الله عليه و سلم، لكن أعطوا الجزية. و قال مقاتل و عكرمة: المراد بالناس أهل اليمن، وفد منهم سبعمائة رجل. و قال الجمهور: وفود العرب، و كان دخولهم بين فتح مكة و موته صلى الله عليه و سلم. و {أفواجًا}: جمع فوج. قال الحوفي: و قياس جمعه أفوج، و لكن استثقلت الضمة على الواو فعدّل إلى أفواج، كأنه يعني أنه كان ينبغي أن يكون معتل العين كالصحيح. فكما أن قياس فعل صحيحها أن يجمع على أفعل لا على أفعال، فكذلك هذا؛ و الأمر في هذا المعتل بالعكس. القياس فيه أفعال، كحوض و أحواض، و شذ فيه أفعل، كثوب و أثوب، و هو حال. و يدخلون حال أو مفعول ثان إن كان

{أرأيت}

بمعنى علمت المتعدية لاثنين. و قال الزمخشري: إما على الحال على أن أرأيت بمعنى أبصرت أو عرفت، انتهى. و لا نعلم رأيت جاءت بمعنى عرفت، فنحتاج في ذلك إلى استثبات.

{فسبح بحمد ربك}: أي ملتبسًا بحمده على هذه النعم التي خولكها، من نصرك على الأعداء و فتحك البلاد و إسلام الناس؛ و أي نعمة أعظم من هذه، إذ كل حسنة يعملها المسلمون فهي في ميزانه.

و عن عائشة: كان صلى الله عليه و سلم يكثر قبل موته أن يقول: **" سبحانك اللهم و بحمدك أستغفرك و أتوب إليك "** قال الزمخشري: و الأمر بالاستغفار مع التسبيح تكميل للأمر بما هو قوام أمر الدين من الجمع بين الطاعة و الاحتراس من المعصية، و ليكون أمره بذلك مع عصمته لطفاً لأمته، و لأن الاستغفار من التواضع و هضم النفس، فهو عبادة في نفسه.

و عن النبي صلى الله عليه و سلم: **"إني لأستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة"**، انتهى. و قد علم هو صلى الله عليه و سلم من هذه السورة دنو أجله، **"و حين قرأها عليه الصلاة و السلام استبشر الصحابة و بكى العباس، فقال: «و ما يبكيك يا عم؟» قال: نعيت إليك نفسك، فقال: «إنها لكما تقول»، فعاش بعدها سنتين"**

{إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا}: فيه ترجئة عظيمة للمستغفرين.